https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة

أ.د. ربيعة العربي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر/ المغرب

raelarabi@hotmail.fr

الملخص:

يربط هذا المقال فكر دو سوسير بالسياق التاريخي والمحيط الثقافي العام الذي تبلور فيه هذا الفكر، ويحاول تتبع مختلف الاتجاهات العامة التي كانت سائدة في النصف الثاني من ق*19* والتي شكلت روافد هامة لنظرية دو سوسير، وذلك من منطلق أن الفكر اللساني هو جزء من الفكر الإنساني، وبالتالي فهو خاضع لجدلية الامتداد والقطيعة.

لقد استفاد دو سوسير من علم التشريح المقارن والجيولوجيا والعلوم الاجتماعية والفلسفة وعلم النفس وغيرها من العلوم التي أثرت بشكل مباشر على الدرس اللغوي عموما وعلى اللسانيات السوسيرية على وجه الخصوص.

بالإضافة إلى هذه العلوم كان للمحيط الثقافي الذي نشأ فيه دو سوسير هو أيضا دور إيجابي ساعده في بناء مشروعه الفكري، فسوسير كان معاصرا للسانيين كبار من أمثال بهاس وأوطو يسبرسن وبول باسي وسيجموند فرويد ودوركهايم وهنري برجسن وغيرهم من المفكرين الذين كان لهم تأثير مباشر على فكر دو سوسير سواء في بناء تصوره ومنهجه أو في اقتراحه لجملة من المفاهيم المؤسسة.

الكلمات المفتاحية:

قطيعة إبستيمية، أنموذج، المحيط الثقافي، الداروينية، علم التشريح المقارن، الفلسفة الوضعية، النسق، المقاربة البنيوية، المقاربة التاريخية التجزيئية، الدياكرونية، السنكرونية.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Saussure and its cultural environment

The dialectic of extension and rupture

Pr. Rabiaa Elarabi

faculty of letters and human sciences, ibn Zouhr University

raelarabi@hotmail.fr

***Abstract*:**

This article links the thought of de Saussure to the historical context and the general cultural environment in which this thought developed, and attempts to review the various general trends that prevailed in the second half of the 19th century, and that constituted important sources of the theory of de Saussure. We adopt in this article that Human thought, is subject to the dialectic of extension and Epistemological estrangement.

Saussure had a wide knowledge of comparative anatomy, geology, social sciences, philosophy, psychology, and other sciences that have directly influenced linguistic thought in general, and saussurian linguistics in particular.

In addition, his cultural environment also had a positive role in helping him to build his theory. Saussure was a temporary of great linguists such as Boas, Otto Jespersen Paul Passy, Sigmund Freud, Emile Durkhelm, Henry Bergson and other thinkers who had a direct influence and whose ideas were background adopted by Saussure in establishing his theory and methodology and in proposing a set of Important concepts.

Keywords:

Cultural paradigm - universal system of language - General Linguistics- diachronic- synchronic

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

للحديث عن المحيط الثقافي الذي بلور فيه دو سوسير نظريته اللغوية، وربط هذه النظرية بجدلية الامتداد والقطيعة ننطلق من مسلمتين أساسيتين:

- الفكر اللساني هو جزء من الفكر الإنساني العام، وبالتالي لا يمكن فهمه وضبطه إلا بربطه بمجمل الحقول المعرفية، ومن هنا يغدو رصد تاريخ اللسانيات في جزء منه رصدا لتاريخ الأفكار، ويغدو الوقوف على النظرية اللغوية متعذرا دون الوقوف على المحيط الثقافي العام بأبعاده المتعددة بما في ذلك البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الذي أسهم في بلورته؛ أي بعبارة أخرى البراديغم الثقافي.
- ليس هناك فواصل صارمة بين الحقول المعرفية؛ بل هناك علائق فيما بينها تمكنها من تبادل التأثير والتأثر. من هذا المنطلق نربط نظرية سوسير التي ظهرت في بداية القرن العشرين بالحركة الثقافية العامة التي سادت في القرن 19 باعتبارها حركة هيأت المناخ العلمي العام الذي انتقل باللسانيات من أنموذج paradigm إلى أنموذج آخر وهيأ لسوسير، بالتالي، إحداث قطيعة إبستيمية مع نمط التصور اللغوي الذي كان سائدا في عصره. من هنا نلح على أنه لوضع نظرية سوسير في سياقها التاريخي وتقديم صورة متكاملة عن محيطه الثقافي لابد من رصد الاتجاهات العامة خلال النصف الثاني من ق19، ليس فقط في حقل اللغة؛ بل أيضا في حقل الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي والتاريخ والسياسة والعلوم الطبيعية والفيزيائية وغيرها من العلوم التي كان لها تأثير على الباحثين في حقل اللسانيات.

كانت اللسانيات في القرن التاسع عشر منفتحة على جملة من التأثيرات من حقول معرفية متعددة وجدت صدى لها في التصورات اللغوية التي صيغت في تلك الفترة. يمكن أن نستدل على قولنا هذا بإنجاز كوفيير *Cuvier* 1817 في علم التشريح المقارن الذي كان منطلقا لغريم *Grimm* وبوب *Bopp* وشليجل *Schlegel* لتقديم مجموعة من الاقتراحات التي تهم بنية اللغة ووسائل وصفها، فقد انطلقوا من النظر إلى اللغة باعتبارها كائنا حيا. الأمر نفسه يمكن أن

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نقوله عن الداروينية التي أثَّرت في فكر شلايشر *Schleicher* ودفعته إلى تأسيس مبادئه النظرية بربطها بمبادئ التطور كما بسطها داروين في كتابه أصل الأنواع 1859. بالإضافة إلى هذه التأثيرات، نجد التأثير الذي مارسته الجيولوجيا على الدرس اللغوي في تلك الفترة، وخير مثال على ذلك مبادئ الجيولوجيا لـليل Lyell سنة 1830 التي مكنت لسانيي القرن 19 من صوغ المبادئ المنهجية التي خولت لهم تفسير التغيرات اللغوية (كورنر 1971، ص4). تشير هذه الأمثلة وغيرها إلى مدى تأثير إنجازات العلوم على الدرس اللغوي ليس فقط من حيث التصور والمنهج والنتائج؛ بل أيضا على المفاهيم. إذا تجاوزنا العلوم الطبيعية والجيولوجية نجد أن الدرس اللغوي قد تأثر أيضا بالعلوم الاجتماعية. للتدليل على ذلك يقدم كونراد كورنر *Konrad Koerner* (ن. م، ص4). أمثلة عديدة؛ فويتني *Whitney* مثلا، حين أكد الطبيعة الاجتماعية للغة كان متأثرا بالعالم الاجتماعي سبنسر *Spenser*، ولا ننس أيضا التأثير الكبير للفلسفة؛ فأفكار هامبولدت *Humboldt* اللغوية كانت امتدادا لآراء كانت Kant، كما أثر النسق الفلسفي لهيجل *Hegel* في النظرية اللغوية لشلايشر *Schleicher*، ومن المرجح أيضا أن سوسير تأثر بموسوعة هيجل Hegel 1817، وخاصة فيما يتعلق بمسائل التعارض والاختلافات وطبيعة اللغة. بالإضافة إلى هذا هناك تأثير الفلسفة الوضعية ونذكر على الخصوص أوغست كونت *Auguste Comte* وكتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" الذي أعيد طبعه خلال أكثر من خمسين سنة وكان له تأثير حاسم على تطور ليس فقط اللسانيات؛ بل أيضا العلوم الإنسانية بوجه عام (ن. م، ص5).

علم آخر شكل مكونا من الأنموذج الثقافي للقرن 19 هو علم النفس، وهنا نذكر فيكتور إجر *Victor Egger* الذي نشر كتابه الموسوم بـ"الكلام الداخلي" *La parole intérieure* سنة 1881 وهو محاولة في علم النفس الوصفي تستثمر العلاقة بين الفكر واللغة والظاهرة المرتبطة بالكلام غير المنطوق *subvocalisation*، بعده ظهر كتاب مبادئ علم النفس لويليام جيمس *William James* سنة 1890 الذي كان له أيضا تأثير كبير على الحقل اللساني.

تأسيسا على ما سبق سنحاول في هذا البحث رصد المحيط الثقافي الذي طور فيه دو سوسير فكره وذلك لتحقيق استراتيجية عامة تتلخص في ضبط الامتدادات والقطائع، مع التركيز على أن الإحاطة الكافية بفكر سوسير لا يجب أن تغفل الظروف الاقتصادية والسياسية التي لها هي الأخرى دورها في تفسير تشكل تصور دو سوسير بخصوص طبيعة اللغة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

1. حياة سوسير:

إذا ألقينا نظرة على المحيط الثقافي لسوسير نلحظ أنه كان معاصرا لمجموعة من أعلام الفكر. عاصر سوسير لسانيين كبار من أمثال بواس *Boas* (1858-1942) وأوطو يسبرسن *Otto Jespersen* (1860-1943) وبول باسي *Paul Passy* (1859-1940) كما عاصر مؤسس التحليل النفسي سيجموند فرويد *Sigmund Freud* (1858-1939) وعالم الاجتماع دوركهايم *Emile Durkhelm* والفيلسوف هنري برجسون *Henri Bergson* (1859-1941) والعديد ممن أسهموا في تقدم العلوم والمعرفة الإنسانية، ولا يمكن أن نقف على المحيط الثقافي لسوسير إذا نحن أغفلنا المفكرين الذين تتلمذ عليهم من أمثال جورج كورتيوس *Georg Curtius* الذي درس على يديه النحو المقارِن وأوغست ليسكيان *August Leskien* الذي درس على يديه السلافية والليتوانية وإرنست فندش *Ernest Windisch* الذي درس على يديه السلتية وهرمان أوسطوف *Herman Osthoff* الذي درّسه السنسكريتية وويليام براون *William Braune* الذي درسه تاريخ الألمانية، أضف إلى ذلك ما ورد عند هوكيت Hockett (هوكيت 1965، ص186) الذي أشار إلى احتكاكه به حينما التحق بجامعة ليبزيغ سنة 1876 بـ فرنر *Verner* وبروغمان *Brugman* وسيفرز *Sievers* وبراون *Brown*.

إذا انتقلنا من المحيط الثقافي العام لنتحدث عن الحياة الخاصة لسوسير نصادف ما قاله موريل ليما *Mourelle-Lema* (موريل 1969، ص4) الذي يتلخص في أنه ليس هناك الكثير مما يمكن قوله بهذا الخصوص، وهذا في حد ذاته يطرح مشكلا، كما أشار إلى ذلك مونان *Mounin* (مونان 1968، ص12-13) وخاصة إذا ما رُبط بالفهم الحقيقي لعمله. إن حياة دو سوسير يمكن أن تفسر بعمق عمله ليس من حيث حوافزُه التاريخية والاجتماعية والشخصية؛ بل أيضا من حيث دقتُه ومعماريتُه. إن المصادر التي أرخت لمونجان فرديناند دو سوسير (كورنر 1971، ص21-22) *Mongin-Ferdinand De Saussure* تذكر أنه ولد في 17 نونبر 1857 في جنيف بسويسرا، وهو من أسرة تميزت بنشاطها العلمي. التحق بجامعة جنيف سنة 1875 في عمر 17 عاما لمتابعة الدراسة في العلوم الطبيعية. في هذه الفترة تحول إلى الاهتمام بالدراسات اللسانية بفضل أدولف بكتيت *Adolph Pictet* (1799- 1875) صاحب كتاب أصول الهندية الأوروبية *Origines Indo –européennes*- وقد اطلع دو سوسير على مجموعة من فصول هذا الكتاب فحرر مقاله الموسوم بـ"النسق العام للغة" الذي أطلع عليه بيكتت، غير أن هذا الأخير نبهه إلى طموحه الزائد فترك سوسير فكرة الانشغال بالنسق الكلي للغة وحاول دراسة اللغات الهندية الأوروبية. في خريف 1876 التحق بجامعة ليبزغ لدراسة اللسانيات الهندية الأوروبية، ومن ثمة أصبح عضوا في "جمعية

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اللسانيات بباريس". في سنة 1881 حصل على منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة وفي 1891 عاد إلى جنيف ليَدَرّس التاريخ المقارن للغات الهندية الأوروبية إلى غاية 1896 حيث توارى عن الأنظار ودخل في عزلة تامة وانقطع إنتاجه العلمي (دبة 2001، ص54). اعتبر مونان (مونان 1968، ص15) أنه انهار أمام إحساسه بعدم فهم الناس له. أما غودل *Godel* (غودل 1966، ص479) فقد أشار إلى أن سوسير كان يكره تقديم محاضراته؛ إذ أصيب بالاكتئاب والحيرة والإحساس بعدم الكفاية. يقول: "حوالي نهاية 1906 تم تعيينه لتقديم محاضرة في اللسانيات العامة في جامعة جنيف التي كان يُدَرس بها السنسكريتية والفيلولوجيا المقارنة لخمسة عشر عاما. أخبرني صديق له أن هذا التعيين الجديد كان ببساطة يفزعه. لم يكن يحس بأنه في مستوى المسؤولية ولم تكن لديه الرغبة في القضاء على هذه المشاكل بشكل نهائي. لكنه كان يقوم بما كان يعتقد أنه واجبه".

أشار بلومفيلد *Bloomfield* (بلومفيلد 1970، ص106) إلى أن سوسير كان هو الوحيد الذي يحاضر في اللسانيات العامة، لأن الاهتمام الذي كان سائدا في تلك الفترة هو تاريخ اللغات والأسر اللغوية ولم يكن هناك إلا اهتمام قليل بالمظاهر العامة للكلام البشري، ولعل هذا الأمر، في اعتقادنا، هو الذي جعله قلقا وفي حيرة من أمره، فقد أشار (سورن 2016، ص3) إلى أن هناك الكثير من الشهادات التي تؤكد بأن سوسير كان في حالة دائمة من عدم الثقة بالنفس وعدم الاطمئنان إلى الأفكار الجديدة التي اقترحها خلال المحاضرات، وقد يكون هذا هو السبب وراء عدم نشر سوسير لمحاضراته. يقول سورن (ن. م، ص2): "إن كون سوسير لم يكتب بنفسه نص محاضراته مهم رغم أنه يُنسى غالبا".

فبالي وسيشهاي يعتذران بحرارة في تقديمهما للطبعة الأولى قائلين إنهما اجتهدا لـ"بلوغ الفكر الذي هما فقط صدى له" وأن "[الـ]أستاذ قد لا يكون مجيزا لنشر هذه الصفحات".

غير أنه في الآن نفسه، يشير إلى أن سوسير لم يكن دائما مترددا؛ بل على العكس حينما كان شابا كان مغرورا وسبّاقا على المستوى الثقافي.

بخصوص الإنتاجيات العلمية لسوسير، نسجل أنه شرع في كتابة المقالات منذ أن كان عمره سبعة عشرة سنة، وفي سن الواحد والعشرين؛ أي في سنة 1878 ألف كتابا من 326 صفحة بعنوان "أطروحة حول النسق البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوروبية". يشير كورنر *Koerner* (كورنر1971، ص24) إلى أن سوسير سعى في أطروحته هاته إلى تقديم أساس لأصل الصوائت الهندية الأوروبية مستعملا في ذلك مفهوم النسق *system* بمعنى دقيق لم يسبق إليه واعتبر لراي *Leray* (لراي1967، ص33) أن سوسير أسس في هذه الأطروحة لنظرية الجذر التي شكلت

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

منطلقا للدراسات في مورفولوجيا اللغات الهندية الأوروبية، ويشير سورن (سورن 2016، ص3) إلى أنه اقترح في هذه الأطروحة فرضية جريئة وذكية حول أصل نسق الصوامت الهند-أوروبية، وهذا وحده كان كافيا لجعله يحظى بموقع بارز في تاريخ اللسانيات.

إن تركيز سوسير في هذه الأطروحة على العلاقات الداخلية المتحكمة في نسق اللغات الهندية- الأوروبية مكنه من تجاوز المنهج الذي كان سائدا في تلك الفترة والذي كان يعتمد بالأساس على الوصف الصوتي. بهذا يمكن القول إن سوسير قد أحدث قطيعة مع التصور السابق الذي كان يتبنى المقاربة التاريخية التجزيئية التي كانت تميز لسانيات عصره بانطلاقه من مجموعة من الفرضيات الجريئة. في الإطار يقول لبشاي (لبشاي 1970، ص42) "ترتبط اكتشافات سوسير في الأطروحة بتحليل لا نتردد اليوم في تسميته ببنيوي. بأخذ النسق في شموليته بعين الاعتبار افترض عناصر ذات طابع مجرد تحددت على أساس وظيفتها البنيوية عوض شكلها الصوتي".

غير أن هذه القطيعة كانت تحمل في طياتها امتدادا لتصورات لاحقة، هي التي جعلت غودل *Godel* (1966) يعتبر أنه بمقارنة الأطروحة مع المحاضرات يمكن أن نذهب إلى الاعتقاد بأن هناك تطورا طبيعيا خولت له العديد من الظروف أن يغير مسار دو سوسير من النحو المقارن إلى النظرية اللغوية. وأيضا لتطورات سابقة جعلت كورنر (كورنر 1971، ص25) يؤكد أن سوسير لم يتحول عن اللسانيات التاريخية التقليدية والدراسات المقارنة للهندية الأوروبية؛ بل كان هناك تطور ثابت من اللسانيات الدياكرونية إلى المقاربة السنكرونية للغة، وقد دعم رأيه هذا بإشارة سوسير الذي اعتبر أنه ينبغي البدء باللسانيات التاريخية قبل دراسة اللسانيات السنكرونية. يقول: "يجب أن نشير إلى أن سوسير لم يتحول عن اللسانيات التاريخية التقليدية والدراسات المقارنة للهندية أوروبية؛ بل كان هناك تطور ثابت من اللسانيات الدياكرونية إلى المقاربة السنكرونية للغة".

في سنة 1881 قدم دو سوسير رسالة لنيل الدكتوراه في جامعة ليبزغ بعنوان "استعمال الجر المطلق في اللغة السنسكريتية *De l' emploi du génitif absolu en sanscrit* لكن بعد هذه الإنجازات الرائدة، كما يشير سورن (سورن 2016، ص2)، كان هناك تدنٍ مثير لحجم منشوراته وطبيعتها. فإلى حدود وفاته في 1913، نشر عددا قليلا من المقالات القصيرة جدا في أغلبها، كلها حول جزئيات إيثيمولوجية أو جزئيات لهجية. أما بخصوص الأفكار المعروضة في المحاضرات فلم يسبق له أن نشر ولو كلمة منها رغم أنه بلور هذه الأفكار منذ 1880 وما بعدها.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2. إشكال التأثير الخارجي

1.2. الطابع الاجتماعي للسان

بدا تأثير دوركهايم *Durkheim* على دو سوسير واضحا من خلال محاضراته، وذلك بتأكيده الطابع الاجتماعي للسان، فهو يرى أن اللسان نتاج اجتماعي لملكة اللغة، وهو عبارة عن اصطلاحات تواضعت عليها العشيرة اللغوية. هذا ما جعل اللسانيين الذين أتوا بعد سوسير يعتبرون أن اللسانيات السوسيرية هي بالأساس اجتماعية من حيث طبيعتُها وأن التنظير الدوركهايمي الاجتماعي هو المصدر الأساس لفكر سوسير. هذا ما أشار إليه فندرييس *Vendryes* (فندرييس 1952، ص18) مثلا، بقوله: "من خلال قراءة كتابه (أي المحاضرات) يتشكل لدينا انطباع قوي بكون اللسانيات (السوسيرية) هي بالأساس اجتماعية"، وهذا ما أشار إليه أيضا دينن *Dinneen* (دينن 1967، ص192) بقوله: "حينما نفحص بعض الإسهامات المميزة لسوسير في المقاربة البنيوية للغة يمكن أن نقدر إلى أي حد تأثر بأفكار دوركهايم".

قد يكون مرد هذا الانطباع تأكيد دو سوسير في تحديده للسان على أنه "مؤسسة اجتماعية". فسوسير يعتبر اللسان معطى اجتماعيا مستقلا عن الأفراد، وهو موجود بفعل تعاقد بين أفراد العشيرة اللغوية، فسوسير هنا يستخدم مفهوم "اجتماعي" بربطه بآلية التغير اللغوي. يستخدم الأفراد اللسان كل يوم، وهذا يتضمن أنه معرض للتأثير المستمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إحداث تغيرات لغوية.

إذا كان فندرييس قد أشار إلى أن سوسير كان متأثرا بنظرية دوركهايم في تأكيده الطابع الاجتماعي للسان وتبعه في ذلك دينن وروبنس *Robins* (روبنس 1967، ص200)، وغيرهم، فإن كورنر (كورنر 1971، ص50) يتخذ منحى آخر باعتباره أن هذه الفكرة كانت من ضمن المعرفة المشتركة بين لسانيي عصره. للتدليل على ذلك يحيل على بلومفيلد (1970) حيث جاء في مقدمة كتابه قوله: إن لغة الفرد: "ليست من إبداعه ولكنها تتشكل من العادات التي يتبناها أثناء تواصله التعبيري مع أفراد عشيرته".

وفي هذا إشارة إلى أن الـ فرد لا يمكن أن يستعمل اللسان إلا بالطريقة نفسها التي يُستعمل بها من قبل العشيرة اللغوية، أما بخصوص التغير اللغوي فبلومفيلد يعتبره تغيرا تدريجيا وغير واع.

من خلال هذه المقارنة ينتهي كورنر (1971) إلى خلاصة مفادها أنه بغض النظر عن المصطلحات السيكولوجية التي وظفها بلومفيلد للتعبير عن فكرته، يمكن أن نلاحظ أوجه الائتلاف

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بين نصوص بلومفيلد المتأثر بعلم النفس عند فاندت *Wundet* ونصوص سوسير المتأثر بعلم الاجتماع الدوركهايمي.

يذهب كورنر أبعد من هذا في محاولته تأكيد أن القول بالبعد الاجتماعي للسان لم يكن بتأثير من دوركهايم؛ بل كان التأثير من داخل الحقل اللساني وخاصة ويتني. للتدليل على ذلك يرتكز على معطيين:

1. المعطى الأول: يتمثل في إحالة دو سوسير في محاضراته على ويتني *Whitney* في اعتباره اللسان مؤسسة اجتماعية. لقد أشار ويتني سنة (ويتني 1867، ص38) إلى أن اللسان ليس نتاجا فيزيائيا وإنما هو مؤسسة اجتماعية، فويتني يشير بوضوح إلى أن اللسان ليس ملكا فرديا؛ بل هو ملك جماعي، وهذا التعارض بين ما هو فردي وما هو جماعي هو ما مكن سوسير من إقامة الثنائية لسان/ كلام.

2. المعطى الثاني: يتمثل في الوقوف عند المسألة الاصطلاحية لإجراء مقارنة بين المصطلحات التي استعملها دوركهايم وتلك التي استعملها دو سوسير؛ فدوركهايم استعمل مفهوم القيد الاجتماعي الذي بواسطته حدد المعطى الاجتماعي، وعلى العكس من ذلك أشار دو سوسير في العديد من المواضع إلى الحرية الفردية في الكلام.

نعتبر أن دو سوسير رغم كونه قد ألح على الطابع الفردي في تحديده للكلام، فإنه في الآن نفسه قد ألح على الطابع الاجتماعي في تحديده للسان، وبالتالي لا يمكن أن ننفي تأثره بدوركهايم خاصة وأنه قد تساءل عما إذا كان بالإمكان إدراج اللسانيات في علم الاجتماع ما دام اللسان معطى اجتماعيا.

إذا كنا نعتبر أن تأثر دو سوسير بويتني ودوركهايم يمثل للامتداد، فإن القطيعة التي أحدثها دو سوسير بخصوص هذه المسألة تتلخص في المنظور وطريقة التناول، ذلك أنه نظر إلى اللسان ليس في بعده الاجتماعي فحسب؛ بل أيضا في بعده النسقي. يؤكد سوسير الخاصية النسقية للسان محددا إياه باعتباره نسقا من العلامات الاعتباطية أو الاصطلاحية. علامات ترجع أصولها إلى التواضع والاصطلاح، إنه شفرة.

إن نسقية اللسان في تصور دو سوسير تتزاوج مع بعد هام ومحدد هو البعد السيميولوجي، فسوسير اعتبر اللسان معطى اجتماعيا بسبب خاصيته السيميولوجية؛ إذ يعتبر أن المعطى اللغوي هو الذي يخلق ما يوجد داخل النسق السيميولوجي. وهذا المنظور هو الذي جعل سوسير يقترح علما جديدا يدرس نسق القيم الاجتماعية الاعتباطية الثابتة: أي العلامات. هذا العلم هو الذي سماه السيميولوجيا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2.2. اعتباطية العلامة اللغوية:

لاحظ ويتني في دراسته لطبيعة اللسان أنه نسق من العلامات الاعتباطية، وقد أشار سوسير إلى أن ويتني يقيم ترابطا بين طبيعة اللسان باعتباره مؤسسة اجتماعية والطابع الاعتباطي للعلامة اللغوية، واعتبر أن المتحكم في هذا الترابط هو مفهوم المواضعة والاصطلاح. لخص سوسير (سوسير1894، ص13أ) ذلك بقوله: "يكفي القول إن قوة العلامات هي في طبيعتها الاصطلاحية وطبيعتها الاعتباطية وطبيعتها المستقلة عن الوقائع التي تشير إليها".

إذا كان القول باعتباطية العلامة يشكل امتدادا لما ورد عند ويتني، فإن سوسير قد تناوله من منظور أدق؛ إذ اعتبر هذه الاعتباطية هي السمة التي تميز اللسان عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ فقد أشار في العديد من المواضع في محاضراته إلى أن اللسان اصطلاح، وهي فكرة كانت واردة أيضا عند ويتني الذي أشار إلى الطبيعة الاعتباطية للعلامة اللغوية، لكن ويتني لم يشر إلى أن هذا هو ما يميزها عن باقي المؤسسات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك يقيم ويتني تمييزا بين العلامة وما تدل عليه معتبرا أن الكلمات ما هي إلا علامات على الأفكار.

نرى أن سوسير بدوره يقيم هذا التمايز غير أنه يختلف عن ويتني في كونه أقام هذا التمايز في إطار العلامة اللغوية بين الدال والمدلول وليس بين العلامة اللغوية وما تحيل عليه في العالم الخارجي، وهو بهذا يكون قد تجاوز الطرح الذي تبناه ويتني الذي أقام تقابلا بين العلامة وما تحيل عليه، بينما حصر سوسير اهتمامه في طرفي العلامة؛ أي الدال والمدلول وأخرج من دائرة اهتمامه المدلول عليه.

3.2. ثنائية لسان/ كلام

انبثق التمييز بين اللسان والكلام من إشكالات لها علاقة بقضية آليات التغير اللغوي وأسبابه (تشومسكي 1966، صx) بخصوص هذه ثنائية يعتبر كورنر (كورنر1971، ص225) أن تمييز سوسير بين اللسان والكلام له أهمية بالغة في النظرية اللسانية. أهمية فرضتها إشكالات لغوية وليس تصورات خارجة عن طبيعة اللغة وتطورها. في هذا الإطار، يشير إلى أن هذه الثنائية اعتبرها العديد من الباحثين مستوحاة من فان دير كبانتز *Von der Gabelentz* (1891) ويعتبرها دو مورو (مورو1968، ص350) مستوحاة من هرمان بول Herman Paul الذي ظهر له كتاب مشهور سنة 1880 بعنوان *The History of Language Principles* تضمن التمييز بشكل واضح بين اللسان *sprachusus* والكلام *sprenchtätigkeit*.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إذا كان دو مورو قد اعتبر أن ثنائية لسان/ كلام تعد امتدادا لما نجده عند هرمان بول *Herman Paul*، فإن كورنر(كورنر1971، ص226) اعتبرها أيضا امتدادا لما طرحه هيجل؛ بل هي أيضا امتداد لما نجده عند ويتني الذي اعتبر أن الإنسان يتوفر على ملكة الكلام التي هي من أهم خصائصه المميزة، وأكثر من هذا يشير إلى أن هذه الثنائية تندرج في إطار ما سماه المعرفة المشتركة محيلا بهذا الخصوص على مقدمة بلومفيلد (1914) التي يؤكد فيها أنه على الفرد أن يتكلم كالآخرين وإلا لن يتم فهمه وأنه ينبغي أن يتبنى نفس اللسان الذي تتكلم به العشيرة اللغوية، وفي هذا إشارة واضحة إلى ثنائية لسان/ كلام الواردة عند سوسير.

إن الربط الذي أقامه دو سوسير بين هذه الثنائية وظاهرة التغير اللغوي، نجده أيضا واردا عند بلومفيلد الذي يرى أن هذه الظاهرة ترتبط بالتغير التدريجي اللاإرادي في عادات العشيرة اللغوية برمتها.

غير أن كورنر (ن. م، ص54) يميل إلى اعتبار أن هذه الثنائية قد اقتبسها سوسير من ويتني بالأساس، خاصة وأنه يربطها بظاهرة التغير اللغوي. هذا الر بط نجده أيضا قائما عند ويتني الذي يرى أن كل تغيير في اللسان يكون مصدره الفرد؛ فتأثير الفرد يظل بلا فائدة ما لم تتبناه العشيرة اللغوية، بل أكثر من هذا نجد ويتني –كما يؤكد كورنر (ن. م، ص79) قد أشار إلى الطبيعة النسقية للسان في محاولته لجرد أصوات اللغة الإنجليزية. يقول: "ليس هناك فوضى ولكن [هناك] نسق من التمفصلات مع شبكة من التعالقات القائمة بينها في مختلف الاتجاهات".

4.2. مفهوم القيمة

إن مفهوم القيمة -كما يشير إلى ذلك إستانيسلو صوفيا *Estanislao Sofia* (2013 أ)- أثار جدلا حادا، وقد تولدت عن هذا الجدال مجموعة من الآراء المتضاربة.

إذا انطلقنا من التحديد الذي صاغه سوسير لمفهوم القيمة، يظهر لنا أنه أخذه من الاقتصاد السياسي، فبعد أن أكد أن اللسانيات، شأنها في ذلك شأن الاقتصاد السياسي، تتضمن مفهوم القيمة، اعتبر أنه في كلا المجالين يجب التعامل مع نسق التوازنات بين شيئين متقابلين. يقول سوسير (سوسير1916، ص115) "في أحدهما (الاقتصاد السياسي) بين العمل والأجر وفي الآخر (أي اللسانيات) بين الدال والمدلول".

في نفس الاتجاه ربط باريونت *Pariente* (1969) بين مفهوم القيمة الوارد عند دو سوسير ومفهوم "قيمة المبادلات *valeur d'échange* الوارد عند والراس *Walras* (1834-1910) في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي" *Eléments d'économie politique*.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إذا تجاوزنا باريونت نجد أن سويجر *Swiggers* (سويجر1982، ص329) قد حاول الاستدلال على أن المفهوم كان مستعملا في ق 19 وما قبله، معتبرا أن سوسير عقد مقارنة بين قيمة الكلمات وقيمة النقد، وهذا يحيل على الاقتصاد، وهي الفكرة التي يدافع عنها سلجزارفا *Sljusareva* (سلجزارفا 1980، ص541) وبنزيو *Ponzio* (وبنزيو2005، ص2) الذي يفترض أن دو سوسير قد أخذ مفهوم القيمة من المدرسة الهامشية في الاقتصاد التي طورها منجر *Menger* (1840-1921) ومدرسة لوزان التي طورها والراس وباريتو *Pareto* (1848-1923). يقول: "نلاحظ في نظرية القيمة اللغوية لدو سوسير تماثلات غير عرضية مع نظرية القيمة الاقتصادية لمدرسة لوزان".

في اتجاه مغاير، يرى سويجر (سويجر 1982، ص329) أن مفهوم القيمة ظهر عند جيرار *Girard* منذ 1747 في إطار نظرية لسانية بمعنى تقني يشبه المعنى التقني الذي يحيل عليه مفهوم القيمة عند دو سوسير، مستدلا على ذلك بقول جيرار (جيرار 1747، ص5- 6). "إن جوهر الكلمة هو صوت متلفظ يولد في الذهن فكرة. إن هذه الخاصية هي ما نسميه قيمة".

إذا عدنا إلى دو سوسير (سوسير 1916، ص158) نقرأ: "حينما نتحدث عن قيمة كلمة ما نفكر غالبا وقبل كل شيء في خاصية تمثيلها لفكرة، وهذا بالفعل من بين جوانب القيمة اللغوية. لكن إذا كان الأمر كذلك في ماذا تختلف القيمة عن الدلالة؟ هل هاتان الكلمتان مترادفتان. لا نعتقد ذلك رغم أنه يسهل الخلط بينهما".

هذا يعني أن دو سوسير قد أقام تمايزا بين القيمة والدلالة. يقول: "لأن القيمة منظورا إليها في جانبها التصوري هي بدون شك عنصر [من عناصر] المعنى وهذا يجعلنا ندرك وجود جوانب أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار. هنا أيضا يجب تمييز القيمة "منظورا إليها من جانبها التصوري" عن الدلالة".

خلاصة القول إن مفهوم القيمة عند سوسير يشكل امتدادا لمفهوم القيمة الوارد في إطار الاقتصاد السياسي، كما يمكن أن يشكل امتدادا لمفهوم القيمة الوارد في أطر مرجعية أخرى، غير أنه مع ذلك لا يمكن أن نقيم موازاة بينهما، لأن دو سوسير كما يشير إلى ذلك كورنر (1971) استعمله بشكل تقني وأوّله بشكل خاص به. بالإضافة إلى ذلك جعله منطلقا للتمييز بين المحور التزامني والمحور التعاقبي، فهو يميز بين الاتجاه التزامني الذي يدرس النماذج اللغوية والاتجاه التعاقبي الذي يدرس المراحل اللغوية، مع الإلحاح على ضرورة الاهتمام بالمنظور التزامني؛ لأنه في رأيه هو الوحيد الذي يمكن من اعتبار اللغة نسقا من القيم التي لا يحددها أي شيء خارج اللحظة الراهنة. إن هذا

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الربط هو الذي ساقه إلى اقتراح علم جديد يدرس نسق القيم الاجتماعية الاعتباطية الثابتة؛ أي العلامات وهذا العلم هو الذي سماه السيميولوجيا.

5.2. التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية

ننتقل إلى الحديث عن التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية. في هذا الإطار يشير دينن *Dinneen* (دينن 1967، ص192) إلى أن سوسير طور مفهومه للسنكرونية بعدما تعرف على نظرية دوركهايم، مؤكدا أنه لم يكن راضيا على اعتبار اللسانيين المعاصرين له بأن اللسانيات التاريخية هي وحدها اللسانيات العلمية. يقول: "لم يكن يعرف كيف يمكن للدراسة التي لا تأخذ بعين الاعتبار التطور التاريخي للغة أن تكون أكثر دقة حتى تعرف على عمل دوركهايم".

يحاول كورنر (1971) أن يستدل على أن التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية كان معروفا في الستينات والثمانينات من ق19، غير أن سوسير قام بإبراز هذا التقابل بشكل واضح. معتبرا أنه بالرغم من أنه لم ينشر أي شيء مرتبط باللسانيات العامة فهناك ما يشير إلى أنه أقام هذا التمييز في الثمانينات من ق19؛ أي قبل صدور كتاب دوركهايم *les règles de la méthode sociologique* سنة 1895.

إذا كان دينن يرجع التقابل الذي أقامه دو سوسير بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية إلى دوركهايم، فإن بيرتيل ملمبرغ *Malmberg* (ملمبرغ 1990، ص22) يرجع هذا التقابل إلى هرمان بول *Hermann Paul*؛ إذ يشير إلى أن ما يثير الانتباه هو أن هرمان بول يقيم تمييزا بين النسق المجرد للعلاقات والتمظهر الملموس لهذا النسق. هذا يعني أنه قد ميز بين الاستعمال العام والمعيار الأمثل. يبين هذا التمييز أنه قد حاول البحث عن الصيغ التي تمكنه من الترميز للثابت باعتباره مقابلا للمتغير وأولى أهمية خاصة لوصف حالات اللسان. هذا ما يمكن أن نلمسه من خلال تنبيه هرمان بول إلى أن كل وصف تطوري يفترض أساسا له وصفا سنكرونيا. في هذا الاتجاه يقول ملمبرغ (ن. م، ص24): "يجب دائما أن نقرأ بين سطور بول لكي نكشف عن أفكار البنية والعلاقات السنكرونية التي توجد فيها".

خلاصة القول. كان غرضنا من هذا البحث هو إلقاء نظرة على المحيط الثقافي لسوسير وربط بعض الأفكار التي أتى بها بمجموع الأفكار التي كانت رائجة في عصره. ما يمكن استخلاصه بوجه عام هو أن سوسير قد طور هذه الأفكار وأدرجها في قالب نسقي وفي بناء نظري محكم في إطار جدلية الامتداد والقطيعة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المراجع

- ماري آن بافو جورج إلياس رفاتي 2012: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية. ترجمة محمد الراضي المنظمة العربية للترجمة – لبنان.
- الطيب دبة 2001: مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية إبستيمولوجية- دار القصبة للنشر الجزائر.
- Bloomfield .L 1933. Language .New York. Holt. Rinhart&Winston
- Chomsky. N 1966. Cartesian Linguistics. A chapter in the History of Rationalist Thought .New York Harper & Row
- Dinneen. F.1967. An introduction to General linguistics .New York. Holt Rinehart& Winston.
- Girard.G.1737. La justesse de la langue Française ou les différentes significations des mots qui passent pour synonymes. Laurent d'Houry. Paris
- Godel. R 1966.F. de Saussure 's theory of language. Current Trends in Linguistics III.
- Hockett. C.F. 1965. Sound Change. Language V 41 n 2.
- Lepschy. G. 1970. A Survey of structural Linguistics. London. Faber.
- Leroy. M. 1967. The main Trends in modern Linguistics Trans by Glanville Price. Oxford. Blackwe
- Malmberg.B 1990. En relisant Hermann Paul. in Working papers 36.
- Mounin.G .1968. Saussure ou le structuraliste sans le savoir. Paris. PUF.
- Mourelle-Lema. M. 1969. The geneva School of Linguistics .A Biographical Recor. Geneve School Reader
- Pariente. J. C. .1969 Essais sur Le langage. Textes de E. Cassirer. & al. Paris. Ed. De Minuit.
- Ponzio.A.2005. Valeur linguistique et valeur marchande. Saussure, Chomsky, Schaff, Rossi-Landi. Conférence Plénière prononcée à l'international Symposium, Language, literature and Semiotic, Budapest,13-14 décembre 2005.
- Robins .R.H. 1967. A Short History of Linguistics .Ibid & Bloomington. Ind. Indiana Univ. Press
- Saussure. F. 1894. Appraisal of Whitney' .Manuscriptin FdS .Notes inedites personnelles ed. by Rudolf Engler.Wiesbaden O. Harrassowitz1972.
- Saussure.F. 1957. Cours de linguistique générale. Introduction. Ed .by Robert Godel.CFS

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Seuren.P.A.M. 2016. Saussure and his intellectual environment; History of Europeen Idea DOI: 10.1080\01916599. 22016. 1154398
- Sljusareva.N.A. 1980. Notion of Value.the Heart of F. de Saussure 'Theory of Language Zeitschrift fur Phonetic sprachwissenschaft und Kommunikatiosforschung vol XXXIII n 5.
- Sofia Estannislao. 2013a. Petite histoire de la notion saussurienne de valeur.in CI Normand & E.Sofia (dir) .Espaces theoriques du langage . Des paralleles flous; Louvain-la-Neuve ; Academia.
- Swiggers.P. 1982. De Girard a Saussure. Sur l'histoire du treme valeur en linguistique. Travaux de linguistique et littérature vol XX n 1.
- Vendryes. J.1952. Choix d' études Linguistique et Celtique. Paris. C. Klincksieck.